ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Sajjad Hassan Al Noor

Dr. Hamid Reda Shariat Madari

Dr. Syid Nasser Mousavi

University of Religionc and sects

Email:
Shariatm46@gmail.com
Dr.sajad@uowasit.edu.iq

Keywords:

fatimid state, Umayyad state, political methods, political relations

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 4.Jul.2024

Accepted 25.Jul.2024

Published 25.Aug.2024

Political relations between the fatimid rule and the Umayyad state Andalus

A B S T R A C T

The study aims to explain the political relations between the Fatimid rule and the Umayyad state in Andalusia, where the Umayyad state provoked conflicts within Morocco and won the Berbers over to its side. Moreover, it made alliances with enemies of the Fatimid state, such as the Byzantine state. In contrast, the Fatimids tried to establish their presence in Andalusia by spreading the Ismaili doctrine.

The forms of political conflict varied in many forms, including espionage between the interests of the two Fatimid states and the Umayyads of Andalusia, as well as the spiritual war in establishing an Islamic caliphate against the Fatimid state, and the interest of both parties in naval armament and terrorism of the opponent, which led to an increase in the conflict and Abd al-Rahman al-Umayyad's control over the front Moroccan seaports and the win over of the sheikhs. The clans against the Fatimids.

The hostile movements of the two conflicting parties made the Umayyad regime form an alliance front with the Islamic tribes hostile to the Fatimids and the internal Umayyad conflict in Andalusia against Shiism. Many debates emerged between the Fatimid and Umayyad caliphs, and each of the two states had special methods that it used in its conflict with the other state.

History books included news about the conflict between the Fatimids and the Umayyads and the forms, causes, and results of this conflict. These relations later turned into military clashes. A study of the relations between the Fatimid rule and the Umayyad rule in Andalusia shows that these conflicts were based on a set of foundations, such as readiness to respond to any attempt to weaken their state, increase their influence, and establish strong diplomatic relations with other countries to ensure their stability and confront challenges.

The research will shed light on the political relations between the Fatimid state and the Umayyad state, and study the methods followed by each of them in its political struggle with the other state.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol56.Iss2.4000

العلاقات السياسية بين الحكم الفاطمي والدولة الأموية في الأندلس

الباحث: سجاد حسن جاسم آل نور أ.د. حميد رضا شريعة مداري أ.د. سيد ناصر موسوي
هيئة الدارس / جامعة الأديان والمذاهب

الملخص:

تهدف الدراسة الى بيان العلاقات السياسية بين الحكم الفاطمي والدولة الأموية في الأندلس ، حيث قامت الدولة الأموية بإثارة النزاعات داخل المغرب واستمالة البربر وكسبهم إلى صفها. علاوة على ذلك، عقدت تحالفات مع أعداء الدولة الفاطمية مثل الدولة البيزنطية. في المقابل، حاول الفاطميون إثبات وجودهم في الأندلس من خلال نشر المذهب الاسماعيلي.

وتنوعت أشكال الصراع السياسي على اشكال متعددة فمنها التجسس بين مصالح الدولتين الفاطميين وامويي الاندلس وكذا الحرب الروحية في تأسيس خلافة اسلامية مضادة للدولة الفاطمية واهتمام كلا الطرفين للتسلح البحري وارهاب الخصم مما ادى الى ازدياد الصراع و سيطرة عبد الرحمن الاموي على الموانئ البحرية المغربية الأمامية و استمالة شيوخ العشائر ضد الفاطميين.

ان الحركات المعادية للطرفين المتصارعين جعل النظام الأموي يشكل جبهة تحالف مع القبائل الاسلامية المعادية للفاطميين و الصراع الداخلي الاموي في الاندلس ضد التشيُّع وظهرت العديد من المناظرات بين الخلفاء الفاطميين والامويين، وكان لكل من الدولتين أساليب خاصة استخدمتها في صراعها مع الدولة الأخرى.

وتضمنت كتب التاريخ أخباراً عن الصراع بين الفاطميين والأمويين وأشكال هذا الصراع وأسبابه ونتائجه. وقد تحولت هذه العلاقات فيما بعد إلى صدامات عسكرية. ويظهر من دراسة العلاقات بين الحكم الفاطمي والحكم الأموي في الأندلس أن هذه الصراعات كانت تستند إلى مجموعة من الأسس مثل الجاهزية للرد على أي محاولة لإضعاف دولتهم وزيادة نفوذهم وإقامة علاقات دبلوماسية قوية مع دول أخرى لضمان استقرارهم والتصدي للتحديات.

سيسلط البحث الضوء على العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية، ويدرس الأساليب التي اتبعتها كل منهما في صراعها السياسي مع الدولة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، الدولة الأموية، الأساليب السياسية، العلاقات السياسية.

المقدمة:

أسهمت الدولة الاموية في الحد من النفوذ السياسي والاجتماعي للفاطميين في الاندلس، وذلك بسبب إثارتها للنزاعات والصراعات داخل المغرب – وخاصة المغرب الاقصى – عن طريق استمالة البربر وكسبهم إلى صفها، ومثال ذلك استمالتها لقبيلة زناته البربرية.

كما كانت تتعمد عقد تحالفات مع أعداء الدولة الفاطمية، ومثال ذلك عقدها تحالفاً مع الدولة البيزنطية، وفي الجانب الآخر كان الفاطميون يحاولون إثبات وجودهم في الأندلس عبر إرسال دعاتهم لنشر المذهب الاسماعيلي في الاندلس، وتسويقه بين الناس .

وتضمنت كتب التاريخ أخباراً كثيرة عن الصراع بين الفاطميين والأمويين وأشكال هذا الصراع وأسبابه ونتائجه في كل مرحلة، فقد تعددت صور النزاع السياسي بين الدولتين المتصارعتين، تمثلت بإرسال كل من الطرفين جواسيس على هيئة طلاب علم أو تجار أو أساتذة.... للتجسس على الطرف الآخر والاطلاع على شؤونه الداخلية.

ومن أشكال النزاع الأموي الفاطمي الاهتمام بالتسليح البحري بغية إخافة الخصم وإرهابه، وفي هذا المنوال فقد تمكّن عبد الرحمن الأموي من بسط سيطرته على الموانئ البحرية المغربية الأمامية وتحريض شيوخ العشائر على الفاطميين، كما أيّد كل طرف الثورات المعادية للطرف الآخر وغيرها أيضا...

ومن الواضح تعدد أشكال العلاقات بين الطرفين من علاقات سياسية واجتماعية تحولت فيما بعد الى صدامات عسكرية ، وهذا ما ثبت في دراسة العلاقات السياسية بين الحكم الفاطمي والحكم الاموي في الاندلس، كما وتنوعت مصادر ومراجع البحث بشكل كبير، لذلك اعتمدنا على المصادر العربية للتاريخ الاسلامي والتاريخ الحديث والكتب المترجمة وكتب المدن والجغرافية وغيرها من الكتب والمراجع الاجنبية.

نبذة عن الدولة الأموية في الأندلس:

دخل طارق بن زياد أحد قادة موسى بن نصير والي الأمويين على إفريقيا سنة ٩٢ هـ بجيش تعداده حوالي سبعة آلاف محارب (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص١٤٦)، وتمكن المسلمون حينها من السيطرة على الأندلس وبسط نفوذهم عليها.

وبعد عامين من القتال المستمر استمر جيش طارق بن زياد في تحقيق الانتصارات العسكرية ، فتمكن بعد عامين من السيطرة على معظم منطقة شبه الجزيرة الإيبيرية وهزيمة ملك القوط الغربيين رودريك في معركة وادي لكة، واستمر المسلمون في التوسع بالجهة الشرقية من بلاد الغال حتى وصلوا إلى حدود مدينة ليون الفرنسية الحالية، وقد حققوا بعض النجاحات العسكرية لكنها سرعان ما توقفت بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء.

ظلت الأندلس مجرد ولاية تتبع ولاية إفريقيا، إحدى ولايات الأمويين في دمشق حتى سقطت الخلافة الأموية على أيدي العباسيين سنة ١٣٢ هـ، وسادت الصراعات والاضطرابات في الأندلس قبل دخول عبد الرحمن الداخل إليها، إذ تعاقب عليها الولاة ووقع صراع بين العرب المضرية والعرب اليمانية من جهة، وبين البربر والعرب من جهة ثانية (السامرائي، ٢٠٠٠: ص١٢٢).

ولا يمكن بأي شكل من الأشكال إغفال حقيقة الصراع الذي نشب بين الدولة الأموية وجيرانها في الشرق والشمال منذ بداية تأسيسها، بهدف بسط النفوذ والسيطرة من جهة وديمومة الاستمرار والبقاء من جهة أخرى، تأسست السياسة الأموية في الأندلس على مجموعة من الأسس، أبرزها:

– الجاهزية الدائمة للرد على كل محاولات إضعاف الدولة الأموية والنيل منها وإنهاء وجودها، فكان الأمويون مستعدين لمواجهة كل من يحاول السيطرة على أراضيهم بالقوة وخوض حرب عسكرية معه (أبو رميلة، ١٩٧٧: ص٩٦).

– كان الأمويون يخططون لتوسيع رقعة دولتهم ومد نفوذها وزيادة مساحة سلطتهم ، وبالفعل فقد امتدت مساحة الدولة الأموية إلى الهند من خلال غزوات وحروب قام بها الجيش الأموي.

– حرص الأمويون على إقامة علاقات في مختلف المجالات مع بعض الدول، للاستعانة بها في حل النزاعات الداخلية والقضاء على الاضطرابات التي كانت تحدث ضمن حدود الدولة الأموية، فأقامت الدولة الأموية اتفاقيات دبلوماسية قوية مع الدول والامبراطوريات بغية ضمان الاستقرار والسلام معهم ولرد شرهم وخطرهم المتوقع (بيضون، ١٩٨٠: ص٣٢٣).

نبذة عن الدولة الفاطمية:

تمذهبت الدولة الفاطمية بالمذهب الإسماعيلي، وبعد وفاة إسماعيل آلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بعد وفاته، وقد استمر حكمها في المغرب ما يزيد عن خمس وستين سنة من (٢٩٦-٣٦٢هـ/ ٩٠٨- ٩٧٤م) (كباشي، ٢٠٠٠: ص٣٧).

وسميت الدولة الفاطمية بهذا الاسم نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أنشأ الفاطميون خلافتهم على أساس أنهم أسباط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنهم أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ يعدون الإمام علي (عليه السلام) الجد الشرعي لخلفائهم، ولهذا السبب سميت بالدولة العلوية أيضاً، كما أُطلق عليهم لقب الباطنية لاعتقادهم أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وإن المقصود منه الباطن دون الظاهر (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص١٦٣)، وقد تعددت العوامل التي أسهمت في قيام الدولة الفاطمية ونشأتها، فكان منها:

- ملاحقة الدولة العباسية لأتباع الأئمة (عليهم السلام) واضطهادهم وتهجيرهم وقتل قسم كبير منهم.

- جهوزية المكان والمنطقة لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وتوافر الظروف المساعدة لامتدادها في القرن الرابع الهجري إلى أماكن واسعة عن طريق السيطرة على مصر وبعض المناطق الأخرى ، كبلاد الشام وغيرها (الكرماني، ١٩٧٣: ص١٥٩).

وبعد أن تمكن الفاطميون من الاستيلاء على إفريقيا خططوا للتمدد باتجاه الشرق والغرب، فكان هدفهم أولاً الاستيلاء على مصر في الشرق ، لكنهم فشلوا في تحقيقه ونجحوا في بسط سلطتهم على المناطق الغربية وصولاً إلى شواطئ المحيط الاطلسي، بعد أن تمت المواجهة مع الأدارسة وأزالوها، وعلى اثرها اندلعت الحرب بين الفاطميين والأمويين في الأندلس.

الأساليب السياسية التي اتخذتها الدولة الأموية ضد الدولة الفاطمية:

منذ بداية ظهور الفاطميين وتأسيس دولتهم نادوا بإمامتهم على المسلمين، وكان واقع اسمهم مبهر في نفوس المسلمين، حيث بدأ الفاطميون بإرسال دعاتهم الذين عرفوا بالعلم والخبرة بطبائع النفوس إلى مناطق متعددة من الاندلس، كما عمدوا إلى استمالة قبائل المغرب وكسب ودّهم ليساندوهم في صراعهم مع الامويين في الاندلس (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص٢١٤).

وبسبب خطر الوجود الفاطمي على الحكم الأموي في الأندلس كان على الدولة الأموية أن تفكّر في أمرهم، فاتبعت في مواجهتهم الكثير من الأساليب والخطط السياسية والعسكرية لتحقيق النصر عليهم، ومنعهم من دخول الأندلس وبسط نفوذهم عليها والتّحكم بالبلاد، ومن تلك الأساليب :

- **الاهتمام بالتسليح واستعراض القوة والإمكانيات العسكرية لإخافة الفاطميين:** فقد لوحظ أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ومنذ لحظة وصوله إلى الحكم صبّ اهتمامه وكرّس جهوده في استعراض قوة الدولة الأموية في الأندلس وإمكانياتها، بغية إخافة أعدائه الفاطميين على وجه الخصوص وإبقائهم في حالة توتر وعدم استقرار دائمين، فكان هم الخليفة الأموي هو أن يُحسب لجيشه وقواه البرية والبحرية ألف حساب، ومن أجل تحقيق ذلك فاندفع إلى تطوير أسطوله البحري وتدعيمه بالجنود وتنسيق عتاده وعدته لجعله أكثر قوة وأشد استعداداً لأي خطر خارجي (ابن هذيل، ١٩٨٥، ص١٨٢) ، وقد أصدر بالفعل الخليفة الأموي في القرن الرابع الهجري مجموعة من الأوامر التي كان من أهمها:

– تزويد الموانئ الأندلسية بالمزيد من السفن والعدة التي تحتاجها في الحرب

– إصدار أوامر وتوجيهات مشددة للأسطول بتكثيف الحراسة على مضيق جبل طارق .

– تهيئة الجنود وتكثيف التدريبات وإعدادهم للتصدي لأي خطر خارجي

– قام عبد الرحمن الناصر بإدخال عدد كبير من الجنود المدربين في الجيش الأموي، والحد من إدخال المساعدات العسكرية إلى الفاطميين (العروي، ١٩٩٢: ص١٤٧)، وذلك من خلال حرق كل المراكب قبل وصولها إلى الفاطميين، ففي العام (٣٠٧هـ) قام عبد الرحمن الناصر بحرق مراكب بحرية كانت متجهة لمساعدة عمر بن حفصون الذي اعترف بالفاطميين وحكمهم في المغرب، وإلى جانب ذلك فقد اهتم الناصر بأمر السواحل والثغور في المغرب وحمايتها وتحصينها من أي عدوان فاطمي .

وفي عام (٣٠٢هـ/٩١٤م) أشرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بنفسه على الأعمال الدفاعية التي كانت تحدث في جزيرة طريف والجزيرة الخضراء ولا زالت الآثار التي تشهد على التحصينات الأمامية التي نفذها الأمويون شاخصة إلى يومنا هذا (المقريزي، ١٩٨٧: ص٢١١).

– **السيطرة على الموانئ المغربية:** لم يكتفِ الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر باستعراض إمكانيات الدولة الأموية وقوتها العسكرية والبحرية، ولم يتوقف عند حد تطوير معدات الحرب واستقطاب المزيد من الجنود إلى الجيش الأموي، بل ذهب بعيداً في استراتيجية المتوسطية ، فقد تمكّن من السيطرة على عدد من ثغور الساحل المغربي المقابلة لسواحل بلاده، ومنها مدينة مليلية وكان ذلك في سنة (٣١٤هـ/٩٢٧م) ومدينة سبتة ومدينة طنجة سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، إذ مثلت كانت سيطرته على تلك المدن – وخاصة مدينة سبتة – خطوة غاية في الأهمية في استراتيجية سياسته المتوسطية (العبادي، ١٩٨٧: ص٢١٥).

كما سيطر الخليفة الأموي على مناطق هامة تقع بالقرب من سواحل تلمسان في المغرب الأوسط كجزيرة أرشقول التي يطلق عليها اليوم اسم رشجون وتقع قبالة مصب نهر تافنا في الجزائر.

وعلى الرغم من فشله في احتلال القاعدة البحرية الجزائرية، نجح في السيطرة على الملاحة البحرية في مضيق جبل طارق من خلال قواعد أخرى موجودة في المغرب منها سبتة وطنجة وميليلة، وبهذا الفعل يكون قد فرض سيطرته على شرايين البحر المتوسط الغربي وأصبح أكثر قوة ونفوذاً ، وهو ما أكده المقري في كتاب (أزهار الرياض في أخيار القاضي عياض) فقال: "فاشتد سلطانه وصار المجاز في يده" (المقريزي، ١٩٨٧: ص٩٥).

– **اتفاق النظام الأموي الأندلسي مع ملوك الدول الأوروبية والإسلامية المعادية للفاطميين:** كانت سياسة الأمويين في الأندلس تهدف إلى القضاء على الفاطميين وإنهاء وجودهم، كما تقوم أيضاً على عقد تحالفات واتفاقيات مع ملوك الدول المناهضة والمعادية للفاطميين و لو بشكل نظري، ومنها الحلف مع ملك إيطاليا هوج دي بروفانس الذي عقده الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، فاستغل الناصر حقد هوج دي بروفانس على الفاطميين ورغبته بالانتقام منهم بعد تدميرهم لميناء جنوه الإيطالي وتخريبه.

كما عقد عبد الرحمن الناصر اتفاقية مع قسطنطين السابع امبراطور الدولة البيزنطينية الذي كان يسعى إلى إعادة جزيرة صقلية التي استولى عليها الفاطميون، وفي هذا المجال تشيد المراجع الأندلسية بالاستقبال الفخم والحفاوة البالغة والاحتفال الكبير الذي استقبل بها عبد الرحمن الناصر سفراء الروم في العامين (٩٤٥م–٩٥٠م) الذين قدموا إلى قرطبة طالبين ودها (ابن فرحون، ١٩٧٦: ص١٣٥).

وليس هذا فحسب، فقد سعى عبد الرحمن الناصر إلى توطيد العلاقة بين الدولة الأموية والدولة الاخشيدية في مصر، بدأها عبد الرحمن الناصر بإرسال مبلغاً من المال لأميرها لمنحها لعلماء المذهب المالكي كي يقفوا بوجه الدعاة الشيعيين في تلك المنطقة وتكذيبهم، حيث كان زعيم المدرسة المالكية في مصر وهو اسحاق بن القاسم (ابن القرطبي) معروف بكرهه للفاطميين والنيل منهم، وكان يتمنى الموت قبل وصول الفاطميين إلى كنانة، وكأنه كان يشعر أن ذلك سيحدث لا محالة، و بالفعل توفي قبل غزو الفاطميين لمصر بحوالي ثلاث سنوات تقريبا ً، وذلك في سنة (٣٥٥هـ/٩٥٦م) (ابن الأثير، ١٩٨٧: ص٤٥٥).

– تحريض شيوخ القبائل المغربية واستمالتهم وتجييشهم ضد الفاطميين :

عمدت الدولة الأموية على كسب ود رؤساء الدويلات التي كانت موجودة في ذلك الوقت في المنطقة الشمالية من المغرب الأقصى واستمالتهم إلى صفها، ومثال ذلك ما حدث في عهد عبد الرحمن الناصر في القرن الرابع الهجري، الذي تودّد إلى كبار دولة الأدارسة الذين تقوقعت سلطتهم وانحسرت إمكانياتهم بسبب الوجود الفاطمي في مناطق أصيلا وقلعة حجر النسر بين قبائل غمارة.

كما تحالف الأمويون مع قبائل غمارة الشهيرة التي تنتمي إلى المذهب المالكي السني، التي ساهمت بشكل كبير في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بين أهل الريف من بربر غمارة وصنهاجة، وقد اضطرت قبائل غمارة إلى عقد التحالف مع الأمويين بسبب استنزاف طاقاتها وإمكانياتها في حربها مع تيار الخوارج وعدائها مع الشيعة (مكي، ١٩٨٩: ص٥٩).

عرف الناصر بحنكته السياسية ودبلوماسيته وبراعته في التعامل، وهذا ما مكّنه من كسب ودّ القبائل المغربية التي شكلت حصناً منيعاً أمام التقدم الفاطمي، كما عمد الخليفة الأموي إلى تعريف الناس على ما سيتسبب به التوغل الفاطمي من نتائج كارثية على المذهب السني في المغرب، وهو ما جعله يتقرب من السنة الموجودين في المغرب والمناصرين للحكم الأموي، كما وتمكن الناصر من إقناع عدد منهم كموسى بن أبي العافية الذي انقلب على الحكم الفاطمي بعد أن كان يظهر الولاء والدعم لهم، وكان عبد الرحمن الناصر يقدم الدعم العسكري لمواليه ضد الفاطميين حتى أصبحت حرباً بالوكالة (البكوش، ١٩٨١: ص٢٤٣)

– تأييد الحركات المعادية للحكم الفاطمي: قامت الخلافة الأموية في الأندلس في حربها مع الفاطميين في المغرب بدعم و تأييد كل الحركات والثورات التي نشبت ضد الحكم الفاطمي، ومن هذه الثورات ثورة الخوارج في الجزائر وتونس ضد الحكم الفاطمي بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي ، وقد اتسمت هذه الثورة بالخطورة، واستمرت طيلة سنوات حكم الخليفة محمد القائم و بدايات حكم ابنه اسماعيل المنصور (الطبري، ١٩٧٢: ص٢٦٩).

انتهت هذه الثورة بمقتل قائدها سنة (٣٣١هـ/٩٤٧م) محققة تقدماً ملحوظاً ونجاحاً لا يمكن إنكاره فقد هددت أمن الفاطميين وأخافتهم لسنوات طويلة، وبذلك كان أبو يزيد قائد الثورة أحد الأساليب التي استخدمها الخليفة الأموي عبد الرحمن ضد خصومه الفاطميين واستطاع من خلاله تثبيت نفوذه في إفريقية حيث حدّ نفوذ الفاطميين وتقلص وأصبح مقتصراً على المهدية، و لولا موت أبي يزيد وانطفاء شعلة ثورته لتمكن من إنهاء الوجود الفاطمي، فقد كان مصدر تهديد وخوف كبير لهم ولقواهم ولسلطتهم ونفوذهم ووجودهم كله (التلمساني، ١٩٩١: ص٢١٢).

ومما سبق يمكننا القول: إن سياسة الأمويين في دعم الحركات ضد الحكومة الفاطمية وتغذية الثورات التي قامت ضدهم وخاصة ثورة يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي، كانت من أنجح الأساليب السياسية وأكثرها إثماراً وتحقيقاً لتطلعات وغايات الأمويين.

– **إرسال الجواسيس إلى المغرب:** حرصت الحكومة الأموية على إرسال الجواسيس إلى بلاد المغرب ونشرتهم فيها، وتحدثت كتب التاريخ عن تواجد مكثّف للجواسيس الأمويين في بعض المناطق المغربية ، كتواجدهم في القيروان عاصمة المغرب، حيث كان الجواسيس ينقلون لحكومتهم ما يهمهم من أخبار الفاطميين ومختلف الأحداث التي كانت تقع .

ويبدو أن ما ساعدهم في هذه المهمة هو وجود الجاليات الأندلسية التي تعرف بالولاء للعقيدة السنية في الكثير من المدن الإفريقية والمغربية، كما عرفت هذه الجاليات بكرهها العميق للتيار الشيعي وحرصها على إبطال الدعوات له والقضاء عليها (أبو القاسم، ١٩٩٠: ص١٥١).

ومن الجدير ذكره أن الفقهاء الأندلسيين السنة كانوا كارهين للفاطميين وناقمين عليهم، وربما هذا هو السبب وراء تعاونهم مع الحكومة الأموية والتجسس على النظام الفاطمي، فكلفهم هذا التعرض للملاحقة والقمع والظلم والقتل أحياناً ، وهو ما جعلهم يرفعون لواء المعارضة للوجود الفاطمي و راحوا يحثون الناس على دعم ثورة يزيد بن مخلد بن كيداد العدو اللدود للفاطميين.

وتنقل المصادر التأريخية أسماء لبعض الفقهاء الذين عارضوا الوجود الفاطمي وقاوموه، ومنهم أبو الحسن الخلاف الذي كان يعتقد أن قتال الفاطميين أفضل من قتال المشركين الكفار، وما وعد قتالهم جهاد في سبيل الله وواجب ديني مفروض، موقف سياسي لم يخفه الفقيه ربيع بن القطان الذي حاربهم وكفّرهم ودعا إلى إبادتهم بشكل نهائي (أبو القاسم، ١٩٩٠: ص١٦٦).

الأساليب السياسية التي اتبعتها الدولة الفاطمية ضد الدولة الأموية:

لا شك أن أي خلاف وصراع بين طرفين له أساليب سياسية يتبعها كل طرف لإنجاح خطته

وفرض سيطرته والانتصار على غريمه، فكما تحدثنا عن الأساليب التي اتبعها الأمويون في الحد من نفوذ الفاطميين ومواجهتهم، فالحال نفسه بالنسبة للفاطميين الذين اتبعوا أساليباً معينة في صراعهم مع الأمويين، نذكرها كما يلي:

– **إرسال الجواسيس الفاطميين إلى الأندلس:** فمنذ تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب وعند شروعهم بتطبيق فكرة غزو الأندلس، بدأوا بإرسال الدعاة لبث أفكارهم ومعتقداتهم بغية تهيئة متطلبات قيام دولتهم في الأندلس (حسن، ١٩٨٠: ص٢٤٧)، كما كان لهم غاية أخرى من إرسال الجواسيس إلى الأندلس، تتضمن اطّلاعهم على كل ما يدور في الأندلس من أحداث وتطورات سرية لم تفصح عنها الدولة الأموية، حتى لا يستطيع الأعداء من استغلال النزاعات والخلافات الداخلية والتدخل في أمورهم الخاصة، فقد سعى الفاطميون في التعرف على جوانب الضعف في الدولة الأموية ، فأرسلوا جواسيسهم من مختلف صنوف المجتمع كطلبة علم وأساتذة وتجار وسياح وغير ذلك....(سالم، ١٩٩٥: ص١٨٢).

وتشير بعض المصادر التاريخية لأسماء بعض الدعاة الفاطميين في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١– الرحالة الشيعي ابن حوقل النصيبي (ت. ٣٦٧هـ/٩٧٧م) وهو من أكثر جواسيس الدولة الفاطمية في الأندلس شهرة، فقد دخل الأندلس على أنه تاجر واشتهر فيها باسم (التاجر الموصلي).

٢– أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني (ت٢٩٨هـ/٩١٠م) و هو أول جاسوس فاطمي دخل الأندلس، وقد اشتهر بولائه للشيعة الفاطميين ، حتى أنه رافق أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة لتخليص إمامه المهدي من السجن (الإدريسي، ١٩٨٦: ص١٩٠).

٣- أبو جعفر بن هارون البغدادي الذي عاش في حكم الخليفة المهدي والخليفة القائم: دخل أبو جعفر الأندلس على أنه طالب علم ولكنه في الحقيقة كان جاسوساً فاطمياً على الأمويين في الأندلس، واشتهر أبو جعفر بن هارون بحبه وولائه للحكومة الفاطمية وشغفه الكبير لخدمتها وكسب رضا الفاطميين، وتمكن من جمع معلومات مفصلة ومهمة ونقلها إلى الحكومة الفاطمية، كما نجح في الاطلاع على بعض الأحداث السرية التي كانت تقع في الأندلس، والتي لم تشأ الحكومة الأموية الإفصاح عنها.

وكسب الجاسوس الفاطمي أبو جعفر بن هارون ود الفاطميين ورضاهم، حتى سلّمه عبيد الله المهدي منصب خطة البريد الذي ظلّ فيه حتى موته (طاهر، ١٩٩٥: ص٢٥٥).

- **دعم الثورات الشيعية في الأندلس:** من الأساليب التي اتبعها الفاطميون مع الأمويين دعمهم لأي حراك شيعي في الأندلس ضد الحكومة الأموية، وخاصة بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس ، حيث باتت الظروف ملائمة تثمر الدعوات الشيعية المدعومة من الفاطميين، والتي بدأت تظهر منذ زمن بعيد في الأندلس وشمال إفريقيا وخاصة بين قبائل البربر، وكانت ثورات الشيعة في الأندلس تحمل ذات الطابع الذي تحمله ثورات العلويين في المشرق، وقد ورد في كتب بعض الباحثين أخبار عن بعض هذه الثورات نذكر منها (المقري، ١٩٧٠: ص٢٧٩):

١- ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر.

٢- شقيا بن عبد الواحد المكناسي الذي كان قائداً للثورة الشيعية الكبيرة في الأندلس، وسرعان ما اتسعت ثورته في ماردة وقورية والثغور .

٣- ثورة الحسين بن يحيى الأنصاري الذي ثار في سرقسطة، إذ استمرت ثورته سبع سنوات متواصلة تمكن خلالها السيطرة على مناطق واسعة، ويبدو أن الانتفاضات والحركات الشيعية في بلاد الأندلس استمرت ، حيث كان لها دور في تغلغل الفاطميين في الأندلس وبسط نفوذهم بشكل أكبر، فكانت سياسة ناجحة من الفاطميين في صراعهم مع الأمويين وإضعاف قوتهم وزعزعة أمنهم (عنان، ١٩٩٥: ص٦٦).

- قطع التواصل بين سنة الأندلس وسنة المشرق وبث العقائد الشيعية في الأندلس:

سعت الدولة الفاطمية إلى قطع سبل التواصل بين السنة في الغرب والسنة في الشرق بهدف جعلهم يعيشون حالة من الرعب والخوف الدائمين، ووضعهم في متاهات الشعور بالوحدة والإحساس بعدم الأمان، فكان الفاطميون يعلمون أن هذا التباعد سيهدد بقاء عقيدة أعدائهم واستمراريتها.

و لم يكتفِ الفاطميون بذلك، بل سعوا في نشر العقائد الشيعية في الأندلس، ودعوة الناس لاعتناقها، وخلقوا حالة من الخوف والتوتر في صفوف الأمويين في الأندلس، فلا تخلو كتب التأريخ من الاعتراف بنجاح الدعاة والمبلغين الشيعة المرسلين من قبل الخلفاء الفاطميين ، الذين دخلوا الأندلس على أنهم تجار أو طلبة علم أو أساتذة....(ابن فرحون، ١٩٧٦: ص١٨٨)، لكن الحقيقة كانوا دعاة يعرّفون الناس العقيدة الشيعية ويدعونهم إليها، ومع الوقت وفي ظل اتساع رقعة سيطرة الفاطميين في المغرب وانتشار المذهب الإسماعيلي فيها ووصوله إلى الأندلس، ازداد التنافر والعداء بين حكام الأندلس والفاطميين (المراكشي، ١٩٩٠: ص١٦٨).

تأسيساً على ذلك ؛ يتضح من خلال قراءة كتب التأريخ والخوض في أساليب الدولة الفاطمية في صراعها مع الدولة الأموية نستنتج : أن الفاطميين كانوا يخططون لوقوع التباغض والتنافر، فلم يكن وليد صدفة ولا نتاج لسير الأحداث

التاريخية، فلم يطمح الفاطميون بأي سلام أو هدنة مع الأمويين، بل كانوا يريدون إنهاء وجودهم في الأندلس بشكل كامل، وقدموا كل ما بوسعهم لدخول الأندلس وبسط نفوذهم عليها ونشر عقيدتهم فيها (أحمد، ١٩٩٧: ص٢٤٢).

– **سعي الحكومة الفاطمية لتحقيق التوافق بينها وبين الخلفاء في الأندلس:** وهذه واحدة من أساليب الدولة الفاطمية في حربها مع الدولة الأموية، وهي ادعائها الرغبة في مساعدتها ضد الأعداء والطامعين فيها، فكانت الحكومة الفاطمية تقدم الدعم العسكري والمادي لهم وتزعم أنها تريد مساعدتهم للتصدي للأطماع الخارجية المتمثلة بعدة جهات، كخطر المغول المحدق بالأندلس من جهة الغرب ومواجهة تهديداتهم (سودي، ١٩٩٧: ص١٥٥).

لكن لم يستمر الحال على ذلك، فقد انكشفت غايات الفاطميين ومآربهم بعد فترة ليست بطويلة واتضحت غايتهم المستترة وراء هذا الدعم العسكري والمادي وأدرك الحكام الأمويون الحقيقة عندما صرح الفاطميون اعتبارهم الأندلس جزء من دولتهم، وأنها يجب أن تكون تحت أمرتهم وضمن مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

وتضمن التصريح الفاطمي وجوب أن يكون الحكام الأندلسيين رهناً لأوامرهم وتحت حكمهم وينفذون ما يأمرهم به الحكام الفاطميين، وكان ذلك نقطة تحول في الحرب الفاطمية الأموية، فهذا التصريح جعل الأمويين يستفيقون من غفلتهم ورفضوا طلب الفاطميين واستنكروا تصريحاتهم ورغباتهم وعملوا بكل ما لديهم من فكر وقوى للحفاظ على استقلالهم وسيادتهم (الحموي، ١٩٨٨: ص٣٦١).

– **الحرب الروحية والتخطيط لقيام دولة مضادة:** رفض الفقه السني قيام خلافتين إسلاميتين في الوقت نفسه ولم يتح هذا الأمر أبداً، وبسبب اشتداد الصراع بين الطرف الأموي والطرف الفاطمي ورغبة كل طرف منهما في تحقيق الاستمرارية في الوجود والتفوق على الطرف الآخر وهزيمته، تسرب الضعف وتغلغل في الدولة الأموية، كل هذه الظواهر تسببت في موافقة الخليفة الأموي والخروج عن الأصل السني للخلافة الإسلامية وقبوله بتجزئة الخلافة، فوافق على وجود إمامين حاكمَين بالمسلمين يديران شؤونهم وأحوالهم ويحكمان البلاد ويسيّران أمور الناس (ذنون، ١٩٨٨: ص٢٥٦).

ولم يكن هذا الرضوخ سهلاً على الخليفة الأموي، بل مثّل وصمة ناتجة عن إصابة حكومته بالوهن والتعب جراء الصراع بينها وبين الحكومة الفاطمية، وترافقت هذه الموافقة بمسافة تفصل بين الحاكمين لتجنب وقوع الاصطدام بينهما.

ومن الملاحظ أن هذا القرار قوبل بالرفض والاستنكار الضمني من قبل الأمويين، وخاصة رجال الدولة والحكم، فكانوا مدركين لخطورة إعلان الخلافة الفاطمية، ومتنبّهين لأي تقدم أو فعل غير متفق عليه فيما بينهم.

وعلى الرغم من كل الاحتياطات المتخذة والمسافات المرسومة بين الحاكمَين، وقع الخلاف بين الجهتين، وكان ذلك نتيجة طبيعية ومتوقعة، فلا شك أن وجود طرفين – يمثل كل طرف منهما رأي ومشورة ويكنّ غايات ومطامح وأهداف يحكمان في المسلمين ويديرون شؤون البلاد في وقت واحد سينتج عنه اصطدام بينهما وخلاف على لقب الخلافة

فبعد نجاح سياسة الفاطميين وخطتهم في دخول الأندلس والمشاركة في الحكم والسير بخطى كبيرة على طريق الهيمنة والسيطرة الكلية، قام عبد الرحمن الناصر سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٩م) بتنصيب نفسه خليفة بعد أن كان أميراً، وأصدر أمراً بلعن الفاطميين على المنابر ، وهو ما أغضب الفاطميين، وعدوه ذلك اعتداء على كيانهم وحقوق أمتهم ، ما جعلهم يعلنون حرباً مفتوحة وأباحوا دماء عبد الرحمن الناصر (ذنون، ١٩٨٨: ص٣١٢)، وهذا الفعل أسفر عن احتداد الصراع بين الطرف الأموي والطرف الفاطمي وتدهور العلاقة بينهما بشكل كبير لم يسبق حدوثه، فازداد النزاع بينهما وتفاقم الخلاف حتى بلغ أوجه.

المواجهة المسلحة بين الأمويين والفاطميين:

لم يتوقف الصراع والنزاع بين الأمويين والفاطميين عند حد التسابق في الإعداد والتسلح والهيمنة على المواقع المتقدمة في السواحل المتوسطية، والحرب بالوكالة من خلال إشعال الفتن بين القبائل، والمؤامرات من خلف الستار بل تطور الأمر وتفاقم الوضع إلى أن وصل إلى حد الصدام المسلح بين الطرفين.

وقد زودتنا المصادر التاريخية بوصف دقيق لبداية الاشتباك المسلح ، إذ بدأ سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) عندما أنشأ عبد الرحمن الناصر الأموي مركباً ضخماً لم يسبق له أن صنع مثله، وقام بوضع أمتعة فيه وسيرها باتجاه المشرق، فالتقى مع رسول من صقلية إلى المعز لدين الله الفاطمي، فوقف في وجهه المركب الأموي وأخذوا منه الكتب الموجهة إلى المعز واستحوذوا على كل ما يتضمنه مركبهم (سالم، ١٩٩٥: ص٢٥٥).

وصل الخبر إلى المعز لدين الله الفاطمي وعلم بما حدث قام بإنشاء أسطول وعيّن عليه صاحب صقلية الحسن بن علي وبعثه باتجاه الأندلس، وعندما دخلوا المرسى أحرقوا كل ما يحتويه من مراكب، وأخذوا المركب العائد من الاسكندرية لعبد الرحمن الناصر الذي يحمل أمتعة وهدايا له، ثم صعد الرجال من الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين للمهدية (ابن الأثير، ١٩٨٨: ص٢٦٤)، وعليه يمكن استنتاج أن أول المسببات لوقوع الصدام المسلح بين الفاطميين والأمويين هي تلك الرسائل التي أرسلها والي الفاطميين في صقلية إلى الخليفة الفاطمي المعز بالمهدية، لكن لم تنقل المصادر التاريخية أي شيء عن مضمون هذه الرسائل، وهو ما جعل الباحثين يقدمون فرضيات متعددة حول مضمون تلك الرسائل، منها ما ذهب إليه (دوزي) المستشرق الهولندي الذي قال إن الرسائل كانت تتضمن مشروع هجوم فاطمي على الأندلس، وأن قائد السفينة الأندلسية كان على دراية بخطورتها البالغة ، ولعل ذلك يفسّر عدم تراجعه وعدم تردده في الاستيلاء عليها (فيلالي، ١٩٨٣: ص١٤٥).

ونتيجة لذلك وكرد فعل أموي على ما قام به الفاطميون، وجّه الخليفة الناصر أسطوله البحري لتنفيذ غارات على مدن ساحلية فاطمية، مثل مدينة طبرقة ومرسي الخرز وسوسة، وكان مرسي الخرز ميناء قاعدة بحرية لتصنيع المراكب الحربية الفاطمية (البكوش، ١٩٨١: ص٢٥٧)، ولكن حتى تلك الهجمات باءت بالفشل، ولم يكتب لها النجاح، فرجع الأسطول من المكان الذي أتى منه.

الخاتمة:

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه ، سلط هذا البحث الضوء على الأساليب السياسية التي اتبعتها كل من الدولة الأموية والدولة الفاطمية في الصراع الذي نشب بينهما في القرن الرابع الهجري، وتناول الأساليب السياسية المتبعة من قبل كل من الطرفين، فمنها كان إرسال الجواسيس للبقاء على معرفة بكل ما يدور داخل الطرف الآخر، ومنها اهتمام كل من الطرفين بدعم وتسليح الحركات المعادية للطرف الآخر على اعتبار أن هذه الثورات والحركات تزعزع استقرار وأمن الحكومات وتهدد وجودها، وكذلك عناية الدولتين بالتسليح وإظهار القوة والإمكانيات لإخافة الخصم وجعله دائم الحذر.

وذلك وصولاً إلى وقوع النزاع المسلح بين الخصمين الذي انتهى بإخفاق الفاطميين الدخول إلى الأندلس، والسيطرة عليها بسبب مناعة الدولة الأموية وقوتها الكبيرتين وبسبب تطور مراكزها الساحلية الدفاعية و الهجومية.

النتائج:

- اتسمت العلاقة بين الدولة الأموية والدولة الفاطمية بعدم الاستقرار، فكما كانت علاقة متضاربة أحياناً كان هناك بعض العلاقات التبادلية بين الطرفين.
- تعددت أساليب الصراع السياسي بين الدولة الفاطمية و الدولة الأموية فكان منها التجسس ومنها للتسلح البحري استعداداً للحرب ومنها المواجهة المسلحة...
- أساس النزاع السياسي بين الدولتين الأموية والفاطمية ارتكاز كل طرف على أسس مذهبية تتعارض مع الطرف الآخر و هذا الأمر سينتج عنه بشكل طبيعي نزاع مسلح و صراع دموي.

التوصيات:

- وجوب التعرف على أساس ومنبع الصراعات بين الدول في الدراسات التاريخية، فمن خلال معرفة أن أساس النزاع بين الدولتين الأموية والفاطمية قيام كل منهما على أسس مذهبية أدركنا غاية كل من منهما وهدفه.
- إن السبيل الأنسب لنشر المعتقد وبسط النفوذ في مكان ما إرسال الدعاة، وهذا ما ساعد الفاطميين في دخولهم المغرب وبث عقيدتهم بين أهلها.
- من المهم الإلمام بمختلف أساليب كل من الدولة الأموية والدولة الفاطمية لمواجهة الطرف الآخر.

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم دار الملاك – القاهرة ، الكامل في التاريخ، ١٩٨٨م
٢. السامرائي، خليل ابراهيم، واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس السامرائي، دار الكتاب الجديدة المتحدة– لبنان، ٢٠٠٠ م
٣. أبو رميلة، هشام سليم، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، المكتبة العالمية– بيروت، ١٩٧٧م
٤. بيضون، ابراهيم، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ–٤٢٢هـ/٧١١م–١٠٣١م ، دار النهضة للطباعة– بيروت، ١٩٨٠م
٥. كباشي، ياسر، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧–٥٦٧هـ/ ٩٠٩– ١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية– جامعة بغداد، ٢٠٠٠م
٦. الكرماني، أحمد حميد الدين ،الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف، تحقيق سليمة عبد الرسول، مطبعة الرشاد– بغداد،١٩٧٣م
٧. ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن، تحفة الأنفس و شعار أهل الأندلس ، دار الكتب الإسلامية – تونس، ١٩٨٥م،
٨. العروي، عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، ١٩٩٢م
٩. المقريزي، أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، دار الفكر العربي– القاهرة، ١٩٨٧م
١٠. العبادي، أحمد مختار ، في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر –بيروت، ١٩٨٧م
١١. ابن فرحون ،ابراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ١٩٧٦م
١٢. مكي، محمود علي ، ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، دار النوادر– دمشق، ١٩٨٩م،ج٢،١٥٣
١٣. البكوش ، بشير ،رياض النفوس، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ١٩٨١م
١٤. التلمساني، أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الكتب العلمية–بيروت،١٩٩١م
١٥. الزياني، أبو القاسم احمد، الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب، المكتبة الشاملة– الدار البيضاء، ١٩٩٠م
١٦. حسن، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٨٠م
١٧. سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، دار النهضة للطباعة و النشر– القاهرة ، ١٩٩٥م.
١٨. الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ،عالم الكتب – بيروت، ١٩٨٦م،
١٩. طاهر، كاظم شمهود، الشيعة في الأندلس، عالم الكتب – بيروت، ، ١٩٩٥م
٢٠. التلمساني، أحمد المقري ،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، ١٩٤٠م
٢١. عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م
٢٢. ابن عذارى، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي، البيان المُغرّب في أخبار الأندلس و المغرب، دار الغرب الإسلامي– تونس، ١٩٩٠م
٢٣. احمد، عطية الله، القاموس الإسلامي، ، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة ، ١٩٩٧م
٢٤. محمد، سوادي عبد ، دراسات في تاريخ المغرب من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري، مطبعة التعليم العالي– البصرة، ١٩٩٧م
٢٥. الحموي ، شهاب الدين ياقوت ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٩٨٨م
٢٦. ذنون، عبد الواحد طه ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس ، دار المدار الإسلامي–المغرب ، ١٩٨٨م
٢٧. الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن (ابن حزم الأندلسي)رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ١٩٩١م
٢٨. فيلالي، عبد العزيز ،العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس و دول المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر، ١٩٨٣م
٢٩. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، دار التراث، بيروت، ١٩٧١م.